# مواقف الحج في التراث العربي القديم

د. عبد الغني زيتوني

لا ريب في أن معظم العرب الجاهليين قبل الإسلام كانوا يعظّمون بيت الله الحرام بمكة، ويحجون إليه في شهر محدد وفي أيام معلومات. وقد انتقلت إليهم مناسك الحج ومشاعره من الديانة التوحيدية التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام، وعلى الرغم من أن تلك المناسك والمشاعر قد دخلها ما دخلها من آثار الشرك والمشركين فإنهم ظلّوا متمسكين بأكثر سُنَنها ومراعين حرمتها، وخاصة في الوقوف على عَرَفَات والمُزدلفَة ومنًى، وقضاء ما عليهم فيها من نُسُك وشعائر.

وكان من أراد منهم الحجّ، وتوجه إلى المواقف تزيًّا بزيٍّ خاص يكون إشعاراً للآخرين بأنه أحرم للحج. ولا يُعرف تماماً الثياب التي كان يرتديها الحجاج، إلا أنه من المؤكد أنهم كانوا يرتدون ثياباً معينة حين يقصدون المواقف، ويدل على ذلك ما أورده الجاحظ حين قال: «كانت سيما أهل الحرم إذا خرجوا إلى الحلّ في غير الأشهر الحُرُم، أن يتقلّدوا القلائد ويعلّقوا العلائق، فإذا أوجب أحَدُهم الحجَّ تزيًّا بزيّ الحاجّ»[1].

## عرفات

أما الحج عند العرب الجاهليين فكان يبدأ بوقوفهم في عرفات وتجمعهم هناك أصيل اليوم التاسع من ذي الحجَّة، حيث يظل الحجاج طوال ذلك النهار يلبّون متعبدين.

وسبب تسمية (عرفات) بهذا الاسم لم يُتفق عليه، فتعددت أقوال العلماء فيه، ولعل أبرزها هو ما ورد من أنها سميت بعرفات لأن الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف(٢).

وقد وردت الإشارة إلى عرفات في عبارات عدة مشتقة منها، فمن ذلك أن أوس بن مَغْرَاء السَّعديّ ذكر «التعريف»، وهو يريد عرفات، في قوله(٣):

ولا يريمون في التَّعْريف موقفَهم ... حتى يُقالَ أفيضوا آل صَفْوانا

وقد وردت العبارة نفسها في تلبية كنانة التي كانت تقول فيها(٤):

لبَّيك اللّهمَّ لبّيك

اليوم يومُ التَّعريفْ ... يومُ الدعا والوقوفْ

كما أُطلق على عرفات لفظ «المُعَرَّف»، أيضاً، وذلك في مثل قول شاعر من هوازن قام بعُكاظ مفتخراً بما فعله الأحمر بن مازن الهوازنيّ حين قطع رجل أحد أفراد بني مُدْركة بن خنْدف(٥):

نحن ضربنا ركبة المخَنْدف ... إذ مدّها في أشهر المعرَّف

وقد اشتق أيضاً من عرفات أو عرفة فعل «عرَّف»، فيقال: عرَّف الناسُ إذا شهدوا عرفات عند الحج، وشاهد ذلك قول عبيد بن عبد العُزَّى السَّلامي(٦):

وقد حلفتُ والسِّتر بيني وبينها    بربٍّ حجيجٍ قد أهلُّوا وعرَّفوا

وفضلاً عن ذلك فقد وردت تسمية عرفات بالمشعر الأقصى عند أبي طالب عمِّ الرسول ـ ﷺ ـ في قصيدته المشهورة(٧):

وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له    إلالٌ إلى مُفْضَى الشِّراج القوابلِ

ـ المنازل :

إن الباحث في المصادر القديمة يجدها تشير إلى أن القبائل العربية في حجّها ووقوفها بعرفات لم تكن تقف كلها في مكان واحد، وإنما خُصِّص لكل قبيلة موقف محدد تقف فيه، ولا تتجاوزه إلى موقف قبيلة أخرى.

وقد استمرّت هذه المواقف حتى بعد فتح مكة، إذ رُوي أنه: «أقيم الحجّ في سنة ثمان للهجرة، فوقف المسلمون على مواقفهم، وسائر الناس على شركهم وقفوا على منازلهم في الحجّ التي كانوا عليها في الجاهلية. وأقام الحجَّ سنة تسع أبو بكر الصديق، وحجَّ المشركون على مواقفهم في الجاهلية»(٨).

بيد أننا لا نعرف تفصيلات واضحة عن أسماء تلك المنازل التي كانت تنزلها كل قبيلة، وأكبر ظننا أن توحيدها في الإسلام هو الذي طمس ذكرها. ومع ذلك فقد ذُكر اسم موقف لقبيلة ربيعة يُدعى «نَفْعَةٌ» ليس لهم غيره، في شعر عمرو بن قميئة، حين قال(٩):

ومنزلة بالحجّ أخرى عرفتها    لها، نَفْعَةٌ، لا يُستطاع بُروحُها

هذا عن منازل القبائل التي تفد من أمكنة نائية. أما أهل مكة، وقريش خاصة فإنهم لم يكونوا يقفون بعرفات كسائر العرب، وإنما كانوا يلزمون أنصاب الحرم، قرب المزدلفة في مكان يُدعى «نَمِرَة»، وسبب ذلك أنهم كانوا يميزون

أنفسهم من باقي العرب لأنهم حُمْسٌ، ولا حاجة لهم إلى النزول بعرفات.

ولكن ما المراد بالحُمس؟ ومن أين أتوا بهذا الاسم؟

لعل ما يفسر ذلك ما ورد من أن قريشاً وأهل مكة كانوا يقولون: «نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمة، وولاة البيت، وقُطّان مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا يعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظّموا شيئاً من الحلّ كما تعظّمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفّت العرب بحرمتكم... وقالوا: نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة، ولا نعظّم غيرها كما نعظمها، نحن الحُمس»(١٠).

وقد ورد أيضا أن الحمس أهل مكة: قريش وخزاعة ومن دان بدينهم ممن ولدوا من حلفائهم، وإن كان من ساكني الحل(١١). ويرجّح أنهم دعوا حُمساً لتشددهم على أنفسهم في دينهم(١٢)، ذلك أن الحمس جمع أَحْمَس وحَمِس، من حَمِسَ، أي اشتدَّ وصلب في الدين والقتال(١٣).

وأهم الأمور التي ابتدعها الحمس أنهم ـ في الحج ـ تركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها؛ «وهم يعرفون ويقرّون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها. إلا أنهم قالوا: نحن الحمس أهل الحرم، فليس لنا أن نخرج من الحرم، ولا نعظّم غيره»(١٤). وإذا وقف الناس على عرفة جعل الحمس موقفهم في طرف الحرم، يقفون به عشية عرفة، ويفيضون منه إلى المزدلفة(١٥)، كما سنرى في الإفاضة.

وعلى ذلك فإن الحمس لم ينكروا الوقوف على عرفات، وإنما كانوا يعترفون أنها من شعائر إبراهيم، بل هي أهم شعائر الحجّ، لكنهم اجتهدوا في ديانتهم وابتدعوا ذلك الرأي الذي رأوه وأداروه.

- إلال :

من المسلّم بـه في الروايات العربية القـديمـة أن الموقف العظيم للحجاج بعرفات لم يكن يماثله أيّ موقف يقفـه الجاهليون المشركون، سواء أكان ذلك عند أصنامهم الكبرى أم عند بيوتهم المقدسة الأخرى. وقـد حفل به الشعر الجاهلي في مواضع عدة منه، وكان الشعراء أكثـر ما يذكرونه في مجال القسم أو التعظيم، وغالبا ما كـانوا يذكرون جبلاً بعرفات، هو جبل «إلال»، ويقصـدون به عرفات كلها(١٦).

وآيـة ذلك أن النابغـة الذبيـاني لم يجد قسماً أعظم من القسم بأولئك الحجـاج الذين يقدمـون من قلب الجزيرة العربية قاصدين عـرفات، وهم يمتطون إبلهم يحثونها على الإسراع، كي لا يفوتهم الموقف العظيم، وإذا هم حينما يقتربون منها يـرفعون أصـواتهم ملبِّين خـاشعين، قد اغبرّت شعـورهم ووجـوههم، وأنهكت أجسامهم، كما أنهكت إبلهم، لكنهم يبدون غير آبهين بما أصابهم، لأن هدفهم قضاء مناسكهم الدينية، وغايتهم إرضاء الإله عنهم(١٧):

حلفتُ فلم أتـرك لنفسكَ ريبـةً ... وهل يأثمـنْ ذو أمّـة وهـو طـائعُ
بمصطحبـات من لَصَـاف وثَبرة ... يـزرن إلالاً سيرهـن تـدافـع
عليهن شَعث عـامـدون لبرِّهمْ ... فهن كـآرام الصريّم خـواضعُ
إلى خير دين نُسْكُـهُ قـد علمتُـهُ ... وميـزانـه في سـورة البرِّ مـاتع

وقد أشـار النابغـة إلى «إلال» أيضا في مـوضع آخر مـن شعره واصفـاً مشهد الحجيج وهم على عرفات يجأرون بالتلبية والدعـاء؛ وذلك في مديحه للنعمان بن المنذر واعتذاره منه: (١٨)

فـلا لَعَمْـرُ الـذي أثني عليـه ... ومـا رفـع الحجيـجُ إلى إلال
لما أغفلتُ شكـرَكَ فـاصطنعني ... وكيف، ومن عطـائكَ جلُّ مـالي

ولم يفت الطفيلَ الغنويَ موقفُ الحجاج هذا؛ فأورده في شعره مصوراً الحجاج على الإبل، وهم محرمون قد اغبرت شعورهم وتشعثت، رافعين أصواتهم بالتلبية والدعاء(١٩):

يـــــزرن إلالاً لا يُنَحِّبْـنَ غيره بكل ملبٍّ أشعث الـــرأس مُحْرِمِ

وكذلك ورد ذكر الحجاج وهم بعرفات على «إلال» في القصيدة اللامية المشهورة لأبي طالب عمّ الرسول ـ ﷺ ـ(٢٠):

أعوذ برب الناس من كلِّ طاعنٍ علينـا بسـوء أو ملحٍّ بباطلِ
ومن حجَّ بيت الله من كلّ راكبٍ ومن كل ذي نـذر ومن كل راجلِ
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا لـه إلالٌ إلى مفضى الشراج القـوابلِ

كما أقسم شاعر عامري بموقف عرفات ذاكراً «إلالا» أيضا الذي يتوزع عليه الحجاج في ذلك الموقف بعد أن أقسم بالله الذي يتنسّك إليه الناس في ذلك المقام(٢١):

فأقسمُ بالذي حجَّت قريش وموقفِ ذي الحجيج إلى إلالِ

ـ الإفاضـة:

إن شعائر الحج لدى العرب الجاهليين كانت تنص على أن يوم عرفة ينتهي حينما تطفل الشمس للغروب، ولا يبقى منها إلا أشعة على أعالي الجبال، فحينذاك يهيءُ الحجاج رواحلهم، وينطلقون مندفعين إلى المزدلفة. وقد وصف ذلك أبو طالب في القصيدة السابقة نفسها(٢٢):

وتوقافهم فوق الجبال عشية يقيمون بالأيدي صدورَ الرواحلِ

ويُسمى الانتقال السريع من عرفة إلى المُزدلفة ثم إلى مِنًى بالإفاضة أو

الإجـازة، ولم تكن إفـاضة الحجـاج عشـوائية غير منظمـة؛ إذ أشـارت كثير من الروايـات إلى أن أفراداً معينين كانوا يجيـزون بالحجاج، ولم يكن يـدفع أحد منهم إلا إذا دفع هؤلاء أمامهم.

جـاء في «السيرة»: «كان الغـوث بن مرٍّ بن أُدٍّ يلي الإجـازة للناس بـالحجّ من عَرَفَة، وولده من بعده، وكان يقـال له ولولده صُوفَة»[٢٣]. وورد أن الغـوث بن مُرٍّ كان إذا دفع الناس قال[٢٤]:

لاهُمَّ إني تابعٌ تَبَاعَهْ  إن كان إثمٌ فعلى قُضَاعَهْ

وقد ظلت الإجـازة من عَرَفَات في صوفـة وأقربائهم آل صفـوان من بعدهم، وكان آخـرهم الذي قام عليـه الإسلام كَـربُ بن صَفْوان، وإليهم يشير أوس بن مَغْراء السَّعدي، موضحاً أن الحجاج لم يكونوا يَدفعون من عرفة إلا إذا أجاز بهم أحدٌ من آل صفوان[٢٥]:

لا يبرحُ الناس، ما حَجُّوا، مُعَرَّفَهُمْ  حتى يُقال: أجيزوا آلَ صفوانا

وأورد ابن قتيبة لأوس بن مَغْراء بيتين من الشعر في المعنى نفسه[٢٦]:

ولا يَـريمُـون في التَّعـريف مـوقفَهم  حتى يُقـال: أفيضـوا آلَ صفـوانـا
مجداً بنـاه لنـا قـدْمـاً أوائلُنـا  وأورثـوه طـوالَ الـدهـر أخرانـا

وأغلب الظن أن إسراع الحجيج حين إفـاضتهم من عرفـات إلى المزدلفة كـان يعود إلى رغبتهم في الـوصول إليهـا قبل أن يخيم الظلام، وتشتـد حلكته؛ ممـا قد يـؤدي إلى عرقلـة ذلك الحشـد الكبير من المطايـا بحجـاجها، ويبـدو أن ذلك الإسراع قد استمـر حتى الإسلام، فقد ورد في الحديـث الشريف عن ابن عباس أنه: «قـد دَفَعَ مع النبي ـ ﷺ ـ يوم عـرفة، فسمع الرسـول ـ ﷺ ـ وراءه زجراً

شديداً وضرباً وصوتاً للإبل، فأشار بسوطه إليهـا، وقال: أيُّها الناسُ، عليكم بالسكينة، فإنَّ البرَّ ليس بالإيضاع»[٢٧].

وثمة نار كانت توقد على جبل قُزَح بالمزدلفة أيام الحج، ولعل إيقادها إنما كان ليهتدي بها الحجّاج المندفعون من عـرفة قبل أن يدركهم الظلام، ويتعذر عليهم أخذ أمكنتهم بالمزدلفة؛ وقيل إن أول من أوقدها هو قُصي بن كلاب، فاستمرت على ذلك حتى الإسلام[٢٨].

وإذا كان أكثر الحجاج العـرب يفيضون من عـرفات إلى المزدلفـة فإن قـريشاً وأهل مكة ـ وهم الحُمْس ـ لم يكونوا يدفعون مع الناس، وإنما كانوا ـ كما سبقت الإشارة ـ يقفـون بموضع «نَمِرَة» في طرف الحرم، ويدفعـون منه إلى المزدلفة[٢٩]، وظل ذلك الأمر إلى الإسلام، فنزلت الآية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ...﴾ الآية[٣٠] آمرةً الحمسَ أن يقفـوا مع سائر الناس على عَـرَفَة وأن يفيضوا معهم[٣١].

ولا ريب في أن الإسلام قـد عظّم الوقـوف على عرفـات، وعدّه أهمّ مشـاعر الحج، ووصفه القرآن الكريم بـالحج الأكبر، وذلك في قوله تعالى ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[٣٢]. وكذلك نـوّه التنزيل المحكم بهذا الموقف في موضع آخـر منه داعيا الحجـاج عند إفاضتهم من عـرفات إلى المزدلفة أن يسبحـوا الله، ويبتهلوا إليه، ويذكـروه ذكرا كثيرا، ولا يلهجوا بذكـر سواه، وذلك في قوله تعـالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾[٣٣].

وفضلا عن ذلك فقد ورد عن الرسول ـ ﷺ ـ أنـه قال: «الحج عرفات ـ ثلاثاً ـ فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك»[٣٤].

## المزدلفة

بعد الإفاضة من عرفات كان الحجاج الجاهليون يجتمعون كلهم بالمزدلفة التي تقع بين عرفات ومنى على منتصف الطريق تقريباً، ولا يتخلف أهل مكة أو الحُمْس عن الانضمام إلى بقية العرب في ذلك الموقف، فيبيتون جميعاً معظم ليلتهم، ليلة العاشر من ذي الحجة.

أما معنى المزدلفة فقد وردت أقوال عدة فيه، فقيل: سُميت بذلك لأنها منقولة من الازدلاف وهو الاجتماع. وقيل: الازدلاف: الاقتراب؛ لأنها مقربة من الله[٣٥]. ويبدو أن معنيَيْ الاجتماع والاقتراب معا هما الأرجح في التسمية، إذ إنّ الاقتراب يؤدي إلى الاجتماع.

ومن الجدير بالاهتمام أن النصوص القديمة التي ذكرت المزدلفة أطلقت عليها اسم «جمع» مما يؤكد أن معنى الاجتماع هو الدافع إلى تسميتها المُزْدَلَفَةَ؛ فقد ورد أنها سمّيت جمعاً لاجتماع الناس بها[٣٦]. كما سميت أيضاً المَشْعَرَ الحرام على نحو ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ . .﴾ الآية[٣٧]، وجاء في تفسير الآية: «وإنما سميت المزدلفة المشعر الحرام لأنها داخل الحرم»[٣٨].

وإذا عدنا إلى مبيت الحجاج بالمُزدلفة فإننا نجدهم يقفون على جبل قُزَح في الغَلَس قبل شروق الشمس، وهم يلبّون ويجأرون بالدعاء والابتهال ومختلف التلبيات منتظرين إشراق الشمس. وكان بعضهم يستعجل ذلك الإشراق، فيخاطب جبل ثبير الذي تخرج من خلفه الشمس قائلاً: «أشرق ثبير. كيما نُغير» أي: أشرق بالشمس حتى ندفع من المزدلفة[٣٩].

ولا يـزال الحجـاج في مـوقفهم ذاك حتى تشرق الشمس، وتصير على رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال، فعندئذ يـدفعون دفعـاً سريعاً قاصـدين منًى. وقد خالف المسلمون المشركين في وقت الإفاضة، فكانوا يدفعون من عرفة بعد غروب الشمس، ويدفعون من المُزدلفة قبل طلوع الشمس(٤٠).

وآية ذلك مـا ورد في حديث الإفـاضة من المزدلفـة عن عمر بن الخطـاب أنه قال: «إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمسُ، ويقولون: أشرق ثبير. وإنَّ النبي -ﷺ- خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس»(٤١).

## - الإفاضة إلى مِنًى:

لم يخل الشعر الجاهلي من الإشارة إلى المزدلفة والإفـاضة منها إلى منى على نحو ما نجده في شعر أبي ذؤيب الهُذَلي من ذكر لمبيت الحجاج بالمُزْدَلَفَة ثم انتقالهم إلى منًى، وذلك من خـلال وصفـه لحاجٍّ يقضي منـاسكـه سريعـاً لينتقل إلى شراء العسل(٤٢):

فبات بجمعٍ ثم تَمَّ إلى منًى ... فأصبح راداً يبتغي المزج بالسَّحْل

وكذلك ورد الوقوف عند جمع أو المُزدلفة ليلاً ثم الإفاضة منها إلى منًى في شعر أبي طالب، حين أقسم بـالمشاعر الحُرُم، مصوراً اندفاع الإبل والخيل بـالحجاج عليها اندفاعاً سريعاً، وكأنها تهرب من وقع مطر ينصب انصباباً شديداً(٤٣):

وليلـــة جمعٍ والمنـــازل مـن منًى ... وهل فـوقهـا من حُـرْمَـة ومنـازل

وجمعٍ إذا مـا المقـربـاتُ أجَـزْنَـهُ ... سراعـاً كما يخرجْنَ من وقـعِ وابلِ

ومن المرجح أن يكون بالمزدلفة أيضاً منازل تنزلها القبائل، لأن الشعر السابق يشير إلى منازل منًى، ولعله أراد الأماكن التي تنزلها كل قبيلة وتخص نفسها بها، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن كل قبيلة منذ وقوفها على عرفة يلزم أفرادها بعضهم بعضاً، فإذا دفعوا إلى المزدلفة وقفوا في مكان معروف لهم، وكذلك شأنهم إذا انتقلوا إلى منى.

أما سبب إسراعهم في الإفاضة من المزدلفة إلى منى فلا يُعرف تماماً، وربما كان لرغبتهم في أخذ أمكنتهم قبل الآخرين، أو ربما كان لرغبتهم في التعجيل بالنحر بمنى، ثم إحلال الإحرام والعودة إلى الديار.

## ـ إجازة صوفة وعدوان:

إذا كانت الإفاضة من عرفات منتظمة يقودها أفراد معروفون، فإن الإفاضة من المزدلفة لم تكن تصح لدى الحجاج إلا إذا أجاز بهم المكلفون هذا الأمر.

وقد ورد أن الإفاضة كانت في صوفة وأقربائهم يجيزون الناس هنا كما يجيزونهم من عرفات[٤٤]، بيد أن ثمة روايات أخرى تشير إلى أن الإجازة من المزدلفة كانت في عدوان يتوارثونها كابراً عن كابر، وفي ذلك يقول ذو الإصبع العَدْواني في معرض ذكره لاختلاف قومه وتفرقهم بعد أن كانوا في عزة ومهابة وقوة، وبعد أن كان الحجاج يجعلونهم القدوة في الإجازة وقضاء المناسك[٤٥]:

عـذيـر الحيِّ من عـدوا ... نَ كانوا حيَّـة الأرض
بغـى بعضُهُـم ظلماً ... فلـم يُـرْعِ على بَعْضَ
ومنهم كـانت السـادا ... تُ والموفون بـالقَـرْضَ
ومنهم من يجيـز النَّـا ... سَ بـالسُّنَّـة والفَـرْضَ
ومنهـم حكَـمٌ يَقْضي ... فـلا يُنقَضُ مَـا يَقْضي

وكان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيَّارة عُمَيْلَةُ بن الأعزل وفيه يقول راجز من العرب[٤٦]:

نحن دفعنا عن أبي سيَّارهْ وعن مواليه بني فَزَارَهْ
حتى أجاز سالماً حمارَهْ مُستَقْبِلَ القِبْلَة يدعو جارَهْ

ويفهم من هذه الأبيات أن الحجاج العرب كانوا يتجمعون مزدحمين حول من يجيز بهم، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك بغية الإسراع في تلقي إشارة البدء بالإفاضة.

ويروى أن أبا سيَّارة هذا قد دفع من المزدلفة إلى منًى أربعين سنة على حمار له، ولم يعتل الحمار في ذلك، حتى أدركه الإسلام، فكانت العرب تتمثل به، فتقول: «أصحُّ من عَيْرِ أبي سيّارة»، وفيه يقول الراجز بما يشبه الأبيات السابقة[٤٧]:

نحن دفعنا عن أبي سيَّارهْ

حتى أفاض محرماً حمارَهْ مُستَقْبِلَ القِبْلَة يدعو جارَهْ

ويمكننا أن نوفق بين الرواية التي تنص على أن الإفاضة كانت في صوفة وأقربائهم من بعدهم حتى الإسلام، وبين الرواية التي تنص على أنها كانت في عدوان حتى الإسلام أيضا بأن صوفة وأقرباءهم كانوا يجيزون بقسم من العرب، وأن عدوان كانت تجيز بقسم آخر، ويبدو أن إجازة عدوان كانت خاصة بالإفاضة من المزدلفة، أما إجازة صوفة فكانت في الإفاضة عامة من عَرَفَة والمزدلفة ومنًى.

ومهما يكن من الأمر فإن الإفاضة على تلك الشاكلة المنظمة كانت تحدّ من

فوضى اندفاع الحجيج في غير وقت محدد، كما أنها تشير إلى أن الحجاج كانوا يقتدون بمن يجيزون بهم، ويعدّون ذلك إتماماً لشعائرهم ومناسكهم في الحج.

**ـ منـى:**

عند إشراق شمس اليوم العاشر من ذي الحجة وإفاضة الحجاج من المزدلفة إلى منًى التي تقع في درج الوادي قرب مكة يكونون قد انتهوا إلى آخر مواقف الحج حيث إنهم بعد أن ينهوا مناسكهم فيها يحلُّ معظمهم إحرامه، وينهي حجه، ويعود إلى دياره.

أما سبب تسمية هذا الموقف بمنى فلم يتفق فيه على قول واحد، شأن الموقفين السابقين، بَيْدَ أن أرجح الأقوال في هذا المجال ما ورد من أنها سُمِّيت بمنًى لما يُمنَى فيها من الدماء ـ أي: يراق(48)ـ ذلك أن الهدي الذي يجلبه الحجاج معهم ينحر جميعاً هناك تقربة إلى الله ربّ البيت الحرام.

وقد حفل الشعر الجاهلي بإشارات عدة إلى منًى ينطوي معظمها على صورة الحجاج، وهم يسارعون للوصول إلى منًى وقضاء ما عليهم من شعائر فيها. فمن الشعراء الذين ذكروا ذلك الموقف العظيم ظويلم بن حَريم الذبياني الذي كان يريد الحجَّ فنزل على الْمُغيرة بن عبد الله المخزومي، فأراد هذا أن يأخذ منه ما كانت تأخذه قريش ممن ينزل بها، وتسميه «الحَريم»، فمنعه ظويلم من ذلك، وقال رجزاً يستجير فيه بحرمة منًى وما يجاورها(49):

| | |
|---|---|
| يـا ربٌ هل عنـدك من غفيرَهْ | إنَّ منى مانعـةٌ المُغيرَهْ |
| ومـانـعٌ بعـد منى ثَبيرهْ | ومـانعي رَبِّي أن أزورَهْ |

وكان الشعراء أكثر ما يذكرون منًى في معرض القسم والتعظيم واصفين إسراع الإبل بحجاجها، وما جلبوه معهم من هدي لنحره فيها على نحو ما نجده في

قسم نُهَيْكَة الفزاري بالإبل وحجاجها إنهم كادوا يفتكون بعامر بن الطُّفيل، وذلك في قوله(٥٠):

يا عامِ لو قَدَرَتْ عليك رماحُنا والراقصات إلى منًى فالغَبْغَبِ
لَتَقِيْتَ بالوَجْعاءِ طعنةَ فاتك مُرَّانَ أو لَثَوَيْتَ غيرَ مُحَسَّبِ

ومن هذا القبيل أيضاً ما أقسم به الأعشى في شعره من يمين غليظة برب الحجاج الذين يأتون إلى منًى على إبل سريعة تقطع الفيافي والجبال من غير تعب ولا نصب(٥١):

حلفتُ بربِّ الراقصات إلى منىً إذا مَخْرَمٌ جاوزْنَهُ بعد مَخْرَمِ

وكذلك أقسم طرفة بن العبد برب الإبل التي تقصد مكة، وبما عليها من حجاج ذاكراً الأيام التي يقضون فيها مناسكهم بعرفة والمزدلفة ومنًى(٥٢):

حلفتُ بربِّ الراقصات إلى منىً يُبَارِيْنَ أيامَ المَشَاعرِ والنَّهَضِ

وقد اهتم بعض الشعراء بالهدي الذي يجلبه الحجاج معهم، وبما يقلدونه من قلائد تدل على إهدائه وتقدمته للنحر في منى، فصوروا ذلك في أشعارهم، فضلاً عن تصويرهم مشهدَ الإبل السريعة من خلال تعظيمهم وقسمهم بها وبحجاجها، كما نتبين ذلك في قول جُبَيْبَة بنة عبد العُزَّى(٥٣):

إني وربِّ الراقصات إلى منى بجنوب مكَّة هَدْيُهنَّ مُقَلَّدُ

وكان الحجاج يسارعون لدى وصولهم إلى منى، إلى نحر ما جلبوه معهم من الهدي، فكانوا يبدءون ذلك منذ الصباح، ويستمرون عليه إلى أن تميل الشمس نحو المغيب. وقد صور لنا ما يفعله الحجاج هناك شأس بن عَبَدَة، واصفا ما يسيل من دماء غزيرة مصدرها الإبل والسوام التي قُلدت قلائد مختلفة علامة على إهدائها(٥٤):

حلفتُ بما ضمَّ الحجيجُ إلى منى ... وما ثُجَّ من نَحْر الهَدي المُقلَّد

ويكون ذبح الهَدي علامة حلِّ إحرام الحجيج، وإشارة إلى أنهم أتمّوا الحج، ولذلك قال عبد الله بن العَجْلان النَّهديّ موضحاً ما يُقدّم للأنصاب من عتائر، وما يُقدّم في منًى من هَدْي تقربةً إلى الله وإحلالاً لإحرام الحجاج(٥٥):

والعتر عتر النَّسيك يخفُرُ بالـ ... ـبُدْن لحلِّ الإحرام، والنُّصُب

## ـ الجمار:

هل تنتهي شعائر الحج بانتهاء نحر الهدي؟ وهل ينفضُّ الحجاج عائدين إلى ديارهم بعد ذلك؟

إنَّ الروايات العربية والأشعار الجاهلية تؤكد أن ثمة أمراً آخر كان يقضيه المتعبدون هناك، وهو رمي الجمرات، وهي بمنى ثلاث: الجمرة الأولى، والجمرة الوسطى، وجمرة العقبة(٥٦)، فكان الحجاج يرمونها بالحَصَيات، ولذلك سُمي ذلك المكان بالمُحَصَّب والجمار(٥٧). وورد أن الجمار التجمّع والجماعة(٥٨)؛ وعلى ذلك جاء قول الأعشى ذاكرا الجمار بمعنى الجماعة(٥٩):

فَمَنْ مُبْلغٌ وائلاً قومنا ... وأعني بذلك بكْراً جمارًا

وتنص الأخبار والروايات العربية على أن رمي الجمار كان من شعائر ديانة إبراهيم عليه السلام، وعلى أنه كان يرمي كل جمرة بسبع حَصَيات، بادئا بجمرة العَقَبَة، ومنتهيا بالجمرة الأولى أو السفلى، وكانت الغاية من ذلك الرمي رجم إبليس الغوي الذي ظهر لإبراهيم الخليل عند تلك الجمرات الثلاث(٦٠)، ثم خلفت الخلوف بعد ذلك العهد، فانحرفوا عن الديانة التوحيدية فأشركوا الله تعالى بالأصنام حتى إذا أتينا إلى العصر الجاهلي وجدنا مظاهر الشرك تنتشر في مواقف الحج أيضاً، فقد ورد أن أنصاباً كانت في منًى يعترون عندها العتائر

قرباناً لآلهتهم فضلاً عن نحرهم الهدي تقدمة إلى الله. وقد أشار إلى تلك الأنصاب لدى الجمرات معاوية بن زهير في قوله[٦١]:

فأقسمُ بالذي قد كان ربي وأنصاب لدى الجَمَرَاتِ مُغْرِ
لسوف ترون ماحسبي إذا ما تبدَّلت الجلودُ جلودَ نمْرِ

بيد أن العرب الجاهليين على الرغم من شركهم ظلوا يعدون رمي الجمار من شعائر الحج الثابتة التي لا تتم إلا به، يؤكد ذلك ما ورد من أن الحجاج حينما كانوا يبلغون منًى، ويذبحون هديهم يتوجهون إلى رمي الجمار لكنهم لم يكونوا يبدءون بالرمي حتى يرمي قبلهم من أجاز بهم من عَرَفَة والمُزْدَلَفَة؛ فقد روي أنه لما كانت صوفة تجيز بالناس من عَرَفَات لم يكن يرمي أحدٌ منهم حتى يرمي رجل من صوفة: «فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه، فيقولون له: قم فارم حتى نرمي معك، فيقول: لا، والله، حتى تميلَ الشمسُ، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة، ويستعجلونه بذلك، ويقولون له: ويلك قُم فارم! فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى، ورمى الناس معه»[٦٢].

ومن هنا يتبين لنا إلى أي مدى كان الحجاج يتمسكون بشعائرهم في الحج، ويقتدون بمَنْ يرشدهم إلى أدائها، ولا يخرجون على شعيرة من الشعائر، ولو دفعتهم الحاجة إلى ذلك دفعاً على نحو ما لحظناه في النص السابق.

أما كيف كان يرمي الحجاج الجمار، وكم عدد الحَصَيَات التي كانوا يرمون بها، فإنه لم يردنا شيء مفصل عن ذلك، غير أننا نرجح أن يكون الرمي منظماً تنظيماً معيناً، وأن يكون عدد الحَصَيَات التي يُرمى بها محدداً، وما يساعدنا على هذا الترجيح ما وجدناه من تنظيم للإفاضة، ومن التزام الحجيج التام بوقت

الرمي، ومن إطاعتهم لقدوتهم في الإجازة وبدء الرجم.

وقد ألم الشعر الجاهلي بذكر المُحَصَّب والجمار، وبمشاهد الحجيج، وهم يهرعون إلى رمي الجمرات في تصوير ينم على اهتمام الشعراء بذلك المَشْعَر وانفعالهم بأداء الحجاج لتلك الشعائر.

فمن الشعراء الذين أشاروا إلى الجمرات إشارة عامة نُفَيل بن حبيب في قوله يذكر ما كان من شأن الفيل وعدم حركته لدى الجمرات عندما أتوا به لهدم الكعبة(٦٣):

رُدَيْنَـةُ لـو رأيـت - ولم تـريـه - لـدى جَنْبِ المُحَصَّبِ مـا رأينـا

كما شبّه حاجزُ بن عوف الأزدي إقبال العدو وإغارتهم عليهم لكثرتهم وسرعتهم بنزول حِمْيَرَ مِنًى وإناختها رواحلها لدى الجمار، وذلك في قوله(٦٤):

فلم نشعـر بهم حتى أتـونـا كحِمْيَرَ إذ أنـاخت بـالجمار

ولعل أبا طالب أفضل من عرض لمشهد الحجيج بالجمار، وذلك حين صورهم لنا وهم يحصبون جمرة العقبة بالحصى، كما صور تجمع قبيلة كِنْدة هناك تأهباً للعودة إلى ديارها، وذلك عندما قال(٦٥):

وبـالجمـرة الكبرى إذا صمـدوا لها يـؤمـون قَـذْفـاً رأسَـها بـالجنـادل
وكِنْدَةَ إذْ هـم بـالحصـاب عشيَّةً تُجيـزُ بهم حجَّـاجُ بكـر بن وائلِ

ووصف حُذَيفةُ بن أنس الهُذَلي تسابق الحجاج نحو الجمرات مشبها إدراك فرسه خيلَ الأعداء بذلك التسابق(٦٦):

لأدركهُمْ شُعْثَ النَّـواصي كأنهم سـوابق حجَّـاجٍ تـوافي المُجَمَّـرا

وضمّن الشنفرى شعره ذكر الجمار وما فيه من حجاج يرفعون أصواتهم

بالدعاء والتلبية، وذلك حين افتخر بثأره من قاتل أبيه، ولم يراع في ذلك حرمة مواقف الحج والشهر الحرام؛ لأنه زعم أن أباه قد قتل وهو محرم أيضاً[٦٧]:

قتلنا قتيلاً مُهدياً بمُلبِّد جارَ مِنَى وَسْطَ الحجيج المُصَوِّت

أما امرؤ القيس فقد ألمح في شعره إلى ما يكون من تفرق الحجاج بعد أن يرموا الجمرات بالمحصّب، ويأخذ كل واحد منهم إلى جهته، وذلك من خلال تصويره فراقَ محبوبته وأثر ذلك في نفسه[٦٨]:

فللّه عينا مَنْ رأى من تفرُّقٍ أشتَّ وأنأى من فراق المُحَصَّبِ

وقد استمر رمي الجمار في الإسلام، وظل من أبرز شعائر الحج، بَيْدَ أن المسلمين خالفوا المشركين، فلم يتقيدوا بوقت الرمي لديهم؛ لأنهم كانوا لا يرمون حتى تميل الشمس؛ إذ ورد في الحديث الشريف: «رمى النبي - ﷺ - يوم النَّحر ضحًى، ورمى بعد ذلك بعد الزوال»[٦٩]. كذلك فإن الإسلام حدد عدد الحَصَيات وكيفية الرمي بها عند الجمرات الثلاث بما يشبه ما ورد عما كان يقوم به إبراهيم عليه السلام.

وآية ذلك ما ورد عن الزُّهريّ من: «أن رسول الله - ﷺ - كان إذا رمى الجمرة التي تلي مسجد مِنًى يرميها بسبع حَصَيَات يكبّر كلّما رمى بحصاة، ثم تقدم أمامها فوقف مُستَقبِلَ القِبْلَة رافعاً يديه يدعو، وكان يطيل الوقوف، ثم يأتي الجمرة الثانية فيرميها بسبع حصيات يكبّر كلّما رمى بحصاة، ثم ينحدر ذات اليسار مما يلي الوادي، فيقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو، ثم يأتي الجمرة عند العقبة فيرميها بسبع حصيات، يكبّر عند كل حصاة، ثم ينصرف ولا يقف عندها»[٧٠].

**ـ قضاء المناسك :**

إذا عدنا إلى مسيرة الحجاج المشركين فإننا نجدهم حينما كانوا ينتهون من رمي الجمرات يتعجلون للعودة إلى ديارهم، لكنهم هنا أيضا لم يكن يجوز لهم الخروج إلا بعد أن يجيز الذي أجاز بهم من عرفات والمزدلفة، والذي أعطاهم إشارة بدء رمي الجمار.

فعندما كانت صوفة تجيز بالناس فإن الحجاج كانوا: «إذا فرغوا من رمي الجمار، وأرادوا النَّفْرَ من منًى، أخذت صوفةُ بجانبيْ العَقَبَة، فحبسوا الناس، وقال الحجاج: أجيزي صوفةُ! فلم يجز أحد من الناس حتى يمرّوا، فإذا نفرت صوفةُ خُلِّيَ سبيل الناس، فانطلقوا»[٧١]. وقد ألم مُرَّةُ بن خُلَيف الفهميّ بهذا المشهد في شعره موضحاً رغبته ورغبة الحجيج في الإسراع بالعودة إلى أهلهم بعد أن نحروا هديهم، وأتمّوا حجَّهم، وقضوا نُسكهم[٧٢]:

إذا ما أجازت صوفةُ النَّقْبَ من منًى ... ولاح قَتَارٌ فوقه سَفْعُ الدَّمِ
رأيت الإيابَ عاجلاً وتبعَّثَتْ ... علينا دواعٍ من ربَابٍ وكلثَمِ

ومن هذا القبيل أيضاً ما ذكره شاعر جاهلي من انتهاء الحجيج في آخر مناسكهم، وموقفهم بمنًى عشيةً، وإسراع الإبل بهم في العودة بعد أن قضوا ما عليهم من شعائر يرجون من ورائها الأجر والمغفرة[٧٣]:

يا ربّ، ربَّ الرّاقصات عشيّةً ... بالقوم بين منى وبين ثَبِير
زُحُفُ الرَّواح قد انقضت مُنَّاتهم ... يحملنَ كلَّ مُلَبِّدٍ مأجور

إذن فإن رحلة الحج تبدأ قبل غروب شمس يوم التاسع من ذي الحجّة حينما يدفع الحجاج من عَرَفَات إلى المُزدلفَة حيث يبيتون هناك ليلتهم، ونيران جبل

قُزَح تظل تشتعل مضيئة طوال الليل، فإذا ما حان الفجر، وأشرقت الشمس أفاضوا مندفعين إلى منًى، فذبحوا هديهم، ورموا الجمرات عند غروب الشمس، فيكونون بذلك قد أنهوا مسيرة الحج الحقيقية، وذلك عشية يوم العاشر من ذي الحجّة، ولا يتبقى لهم بعدها إلا دخول مكة والطواف بالبيت الحرام، ثم العودة إلى ديارهم، وكان بعضهم يتعجل تلك العودة فيسرع بالطواف أو يرحل من دون أن يطوّف بالكعبة المشرفة.

ويبدو أن كثيراً من الحجاج بعد قضائهم مناسكَ الحج كانوا يتجمعون في موسم عُكاظ أو غيره فيتفاخرون بالأنساب، ويتباهون بفَعال الآباء والأجداد، وبما يتحلّون به من أخلاق كريمة وخصال حميدة. فلما جاء الدين الحنيف نزلت الآيات المحكمات لتنبه المسلمين إلى أن يجعلوا الله عزَّ وجَلَّ في المقام الأول من الذكر، لأنه سبحانه هو المَقْصَد في الحج، وهو الغاية من قضاء المناسك، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا. . ﴾ الآية(٧٤).

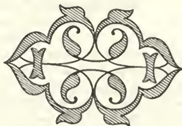
وجاء في تفسير الآية عن ابن عباس: «كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم، فيقول الرجل منهم: كان أبي يُطعم ويحمل الديّات، ليس لهم ذكر غير فَعال آبائهم، فأنزل الله على محمد ـ ﷺ ـ ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ الآية»(٧٥).

ولا ريب في أن مواقف الحج ومناسكه كانت ذات أثر كبير في نفوس العرب الجاهليين مما جعل شعراءهم لا يذكرونها إلا في مجال القسم والتعظيم، كما مر بنا في أكثر الأشعار التي عرضنا لها، وكما نجد ذلك واضحاً في قول الأعشى يمدح النعمان بن المنذر، فيصفه بحسن التدبير وصواب الرأي، وبعراقة النسب وكرم العنصر(٧٦):

لعمرُ الـذي حجّتْ قريشٌ قطينَهُ     لقد كدتَهم كيدَ امرئٍ غيرِ مُسْنَدِ

وفضلاً عن ذلك فإن مظاهر الحج كانت موضع أيمانهم في حياتهم العامة، فمن ذلك أنهم كانوا يقولون: «لا، والذي نادى الحجيجُ له»، ويقسمون بالإبل التي تحمل الحاج، فيقولون: «لا، والراقصات ببطن مَرٍّ»، وكذلك قولهم: «لا، والذي رَقَصنَ ببطحائه»، وقولهم: «لا، والراقصات ببطن جمع»[٧٧].

وهكذا فإن تراثنا القديم - بأشعاره ورواياته - قد أبان لنا عن مواقف المشركين في الحج، وأوضح ماكانوا يقومون به فيها من مناسك وشعائر سواء أكان ذلك في وقوفهم بعرفات، أم في إفاضتهم منها إلى المُزدلفة، أم في نحرهم ورميهم الجمار بمنًى، ثم في تأهبهم للطواف بالبيت الحرام والعودة إلى الديار. وقد وجدنا فيما سبق أن الدين الإسلامي قد أقرّ تلك المواقف وبعض مناسكها، وجعلها ركناً أساسياً في الحج، وخاصة الوقوف بعرفات، ولكن بعد أن طهرها من رجس الشرك والمشركين، وبعد أن أزال كل ما علق في الأذهان من علائق الجاهلية وأوزارها، ليبقى الدين كلّه خالصاً لله الواحد الأحد الفرد الصمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## الحواشي والتعليقات

(١) البيان والتبيين: ٣/ ٩٥.

(٢) معجم البلدان: مادة (عرفات). وورد فيه أنها سميت بعرفة لأن جبرائيل عليه السلام عرّف إبراهيم عليه السلام المناسك، فلما وقفه بعرفة قال له: عرفت؟ قال: نعم، فسميت عرفة. وقيل: بل سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد نزولهما من الجنة. وقيل: بل سميت بالصبر على ما يكابدون في الوصول إليها، لأن العرْف الصبر.

(٣) الشعر والشعراء: ٢/ ٦٨٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٩٦ـ٢٩٧.

(٥) أيام العرب في الجاهلية: ص٣٢٣.

(٦) قصائد جاهلية نادرة: ص١٢٦. وأهلّوا: أي رفعوا أصواتهم بالتلبية عند الحج.

(٧) السيرة النبوية: ١/ ٢٧٤. والشراج: جمع شرج، وهو مسيل الماء. والقوابل: المتقابلة.

(٨) المحبر: ص١١ـ١٢.

(٩) ديوان ابن قميئة: ص٢٢.

(١٠) السيرة النبوية: ١/ ١٩٩. وانظر أخبار مكة: ١/ ١١٣.

(١١) أخبار مكة: ١/ ١١٤، والمحبر: ص١٧٨.

(١٢) القاموس المحيط: مادة (حمس)، وأخبار مكة: ١/ ١١١، والمحبر: ص١٧٩.

(١٣) القاموس المحيط: مادة (حمس)، وقد ورد في المادة نفسها. وقيل: إنهم لقبوا بذلك لالتجائهم بالحَمْساء، وهي الكعبة، لأن حجرها أبيض إلى السواد.

(١٤) السيرة النبوية: ١/ ١٩٩، وأخبار مكة: ١/ ١١٩.

(١٥) أخبار مكة: ١/ ١١٦.

(١٦) معجم البلدان: مادة (ألال)، وورد فيه أنه «ألال» بفتح الهمزة على وزن حَمَام. وأما اشتقاقه فقيل: إنه سمي إلالا لأن الحجيج إذا رأوه ألوا، أي: اجتهدوا ليدركوا الموقف.

(١٧) ديوان النابغة: ص٥٢. الأمّة والإمّة: الدين والطريق المستقيمة. ولصاف وثبرة: موضعان في بلاد بني تميم. عامدون لبرهم: أي: عامدون لما ينالهم من خير في حجهم. والآرام: جمع رئم، وهو الظبي. والصريم: المنقطع من الرمل، والسورة: المكانة. والماتع: النافع.

(١٨) المصدر نفسه: ص١٣٩.

(١٩) ديوان الطفيل: ص٧٤. وينحبن: يقصدن، والضمير يعود إلى الإبل.

(٢٠) السيرة النبوية: ١/ ٢٧٤.

(٢١) المحبّر: ص١٣٩.

(٢٢) السيرة النبوية: ١/ ٢٧.

(٢٣) المصدر نفسه: ١/ ١١٩. وقيل: إنما سمّي بذلك لأن كل من ولي من أمر البيت شيئاً من غير أهله، أو قام بشيء من أمر المناسك، يقال لهم: صوفة. انظر الروض الأنف: ٢/ ٣٥.

(٢٤) السيرة النبوية: ١/ ١١٩. ولاهُمّ: اللهم. والتباعة: ما يتبعه الإنسان ويقتدي به. وقضاعة: خصها بهذا لأن منهم محلّين يستحلون الشهر الحرام.

(٢٥) المصدر نفسه: ١/ ١٢١.

(٢٦) الشعر والشعراء: ٢/ ٦٨٧.

(٢٧) صحيح البخاري: ٢/ ٢٠١. والإيضاع: الإسراع.

(٢٨) أخبار مكة: ٢/ ١٥٤.

(٢٩) المصدر نفسه: ١/ ١١٦.

(٣٠) البقرة: الآية ١٩٩، وانظر تفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٢.

(٣١) انظر الحديث في سبب نزول الآية في صحيح البخاري: ٢/ ٢٠٠، وتفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٢.

(٣٢) التوبة: الآية ٣، وانظر تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٣٤.

(٣٣) البقرة: الآية ١٩٨، وانظر تفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٠.

(٣٤) تفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٠.

(٣٥) معجم البلدان: مادة (مزدلفة)، وورد فيه أنها سميت بالمزدلفة لازدلاف الناس في منًى بعد الإفاضة. وقيل: لازدلاف آدم وحواء بها، أي: لاجتماعها. وقيل: لنزول الناس بها في زُلَف الليل، وهو جمع أيضاً. وقيل: الزُّلْفة: القربة، فسميت مزدلفة لأن الناس يزدلفون فيها إلى الحرم.

(٣٦) المصدر نفسه: مادة (جمع).

(٣٧) البقرة: الآية ١٩٨.

(٣٨) تفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٢.

(٣٩) أخبار مكة: ١/ ١٢٣.

(٤٠) المصدر نفسه: ١/ ١٢٣.

(٤١) صحيح البخاري: ٢/ ٢٠٤.

(٤٢) الحيوان: ٥/ ٤١٨. والراد: الطالب. والمزج: العسل. والسحل: النقد.

(٤٣) السيرة النبوية: ١/ ٢٧٤. والمقربات: الخيل التي تقرب مرابطها من البيوت لكرمها، وشمل فيها الإبل أيضا.

(٤٤) المصدر نفسه: ١/ ١١٩.

(٤٥) ديوان ذي الإصبع: ص٤٧. وعذير الحي: من يعذر، أي: هاتوا من يعذر. وحية الأرض: يقال: فلان حية الأرض، وحية الوادي، إذا كان مهيباً يذعر منه، وقيل: حية الأرض: أي: حياتها. ولم يُرع: لم يُبق.

(٤٦) السيرة النبوية: ١/ ١٢٢. ومواليه: بنو عمه، لأنه من عدوان، وعدوان وفزارة من قيس عيلان. ويدعو جاره: أي: يدعو الله، فيقول: اللهم كن لي جاراً ممن أخافه.

(٤٧) مروج الذهب: ٢/ ٣٠، ومجمع الأمثال: ١/ ٤١٠.

(٤٨) القاموس المحيط: مادة (مناه)، ومعجم البلدان: مادة (منى)، وورد في المصدر الثاني: وقيل: سمي الموقف بمنى لأن آدم عليه السلام تمنّى فيها الجنة. وقيل: أمنى القوم، ومنى الله الشيءَ: قدّره، وبه سمي منى. وقيل: سمي منى لأن الكبش (الذي فُدي به إسماعيل عندما أراد إبراهيم الخليل ذبحه) مني به، أي: ذبح. وقيل: أخذ من «المنايا» وهي بليدة على فرسخ من مكة.

(٤٩) الاشتقاق: ص٢٨٢. وغفيرة: مغفرة.

(٥٠) الأصنام: ص٢١. والوجعاء: الإست. والمران: الرماح، والتقدير: طعنه مران فاتك.

(٥١) ديوان الأعشى: ص١٢٣. والراقصات: الإبل التي تسرع في سيرها. والمخرم: منقطع أنف الجبل.

(٥٢) ديوان طرفة: ص١٧٠.

(٥٣) الحماسة: ٤/ ١٦٣٥. والهدي: من الإبل وغيرها ما يُعلم ما يُعلم دلالة على تقدمته للنحر بمنى.

(٥٤) أديان العرب في الجاهلية: ص٦٤. وثجّ: سال. والمقلّد: الذي عليه القلائد.

(٥٥) الحيوان: ٥/ ٣٧٦. والعتر: الذبيحة تقدم للأصنام. والنسيك: لم أجدها، وفي القاموس المحيط: مادة (نسك): النسيكة: الذبيحة. ولعله أراد تمييز هذا الذبح مما يقدم للأصنام الأخرى، وقد أقسم به كما أقسم بالأنصاب.

(٥٦) أخبار مكة: ١/ ٢٩. والعقبة: موضع بمنى.

(٥٧) القاموس المحيط: مادتا (الحصبة) و(الجمرة).

(٥٨) المصدر نفسه: مادة (الجمرة).

(٥٩) ديوان الأعشى: ص٤٩.

(٦٠) أخبار مكة: ١/ ٢٩.

(٦١) السيرة النبوية: ٢/ ٣٥. ومُغر: جمع أمغر، وهو الأحمر، أراد أنها مطلية بالدماء. وورد في «أخبار مكة: ٢/ ١٤٢» أن عمرو بن لحي الخزاعي نصب بمنّى سبعة أصنام، ووزعها على الجمرات الثلاث.

(٦٢) السيرة النبوية: ١/ ١٢٠.

(٦٣) المصدر نفسه: ١/ ٥٣.

(٦٤) قصائد جاهلية نادرة : ص٧٦ .
(٦٥) السيرة النبوية : ١/ ٢٧٤ .
(٦٦) الحيوان : ٥/ ١٢٩ .
(٦٧) المفضليات : ص١١١ . والمهدي : المحرم ساق الهدي. والمُلبِّد : الذي لبّد شعره، من التلبيد، وهو أن يأخذ الحاج شيئاً من نبات الخطمي والآس والسدر، وشيئاً من الصمغ فيجعلها في أصول شعره وعلى رأسه، وذلك عند إحرامه للحج، انظر الحيوان : ٥/ ٣٣٧ .
(٦٨) ديوان امرئ القيس : ص٤٣ .
(٦٩) صحيح البخاري : ٢/ ٢١٧ .
(٧٠) المصدر نفسه : ٢/ ٢١٩ .
(٧١) السيرة النبوية : ١/ ١٢٠ .
(٧٢) معجم الشعراء : ص٢٩٤ . والقتار: الدخان من المطبوخ. والسفع : اللون الأسود أشرب بالأحمر.
(٧٣) الحيوان : ٥/ ٣٧٥ . زحف : جمع زحوف، وهي الناقة المتعبة. والرواح: أي عند الرواح. ومنّاتهم: جمع منّة كالقوة وزنا ومعنى، لكنها لا تناسب السياق، ولعله أراد بها جمع أمنية.
(٧٤) البقرة: الآية ٢٠٠ .
(٧٥) تفسير ابن كثير : ١/ ٢٤٣ .
(٧٦) ديوان الأعشى : ص١٩١ . والقطين: القاطن، ويبدو أنه أراد به الكعبة المشرفة. والمسند: الدعي في قوم ليس منهم.
(٧٧) أيام العرب في الجاهلية: ص٢٠-٢١ .



# المصادر والمراجع


— القرآن الكريم.

— أخبار مكة: للأزرقي عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ)، ط. مكة المكرمة ١٣٥٢هـ.

— أديان العرب في الجاهلية: لمحمد نعمان الجارم، ط. مصر ١٩٢٣م.

— الاشتقاق: لابن دريد محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط. بغداد ١٩٧٩م.

— الأصنام: لابن الكلبي هشام بن محمد (ت ٢٠٦هـ)، تحقيق أحمد زكي، ط. دار الكتب المصرية ١٩٢٤م.

— أيمان العرب في الجاهلية: لإبراهيم بن عبد الله النجيرمي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، ط. القاهرة ١٣٤٣هـ.

— أيام العرب في الجاهلية: لمحمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط. القاهرة ١٩٤٢م.

— البيان والتبيين: للجاحظ عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط. مصر ١٩٦٨م.

— تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢هـ)، ط. بيروت ١٩٥٥م.

— تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، ط. البابي الحلبي، مصر.

— الحماسة: لأبي تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١هـ)، شرح المرزوقي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط. القاهرة ١٩٥١م.

— الحيوان: للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط. مصر ١٩٦٥م.

— ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: تحقيق محمد محمد حسين، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

— ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار المعارف بمصر ١٩٨٤م.

— ديوان ذي الإصبع العدواني: تحقيق محمد العدواني ومحمد الدليمي، ط. الموصل ١٩٧٣م.

— ديوان طرفة بن العبد: تحقيق محمد علي الجندي، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

— ديوان الطفيل الغنوي: تحقيق محمد عبد القادر محمد، ط. بيروت ١٩٦٨م.

— ديوان عمرو بن قميئة: تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط. معهد المخطوطات العربية ١٩٦٥م.

— ديوان النابغة الذبياني: صنعة ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق شكري فيصل، ط. بيروت ١٩٦٨م.

— الروض الأنف: للسهيلي عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ)، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، ط. القاهرة ١٩٦٧م.

— السيرة النبوية: لابن هشام عبد الملك (ت ٢١٣هـ أو ٢١٨هـ)، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، ط. البابي الحلبي، مصر ١٩٥٥م.

— الشعر والشعراء: لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

— صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، ط. مطابع الشعب، مصر ١٣٧٨هـ.

— القاموس المحيط: للفيروز آبادي (ت ٨١٦ هـ)، ط. البابي الحلبي، مصر ١٩٥٢م.

— قصائد جاهلية نادرة: مختارة من مخطوط «منتهى الطلب في أشعار العرب لابن ميمون بن المبارك» (من رجال القرن السادس الهجري)، تحقيق يحيى الجبوري، ط. بيروت ١٩٨٢م.

— مجمع الأمثال: للميداني أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. مصر ١٩٥٩م.

— المحبّر: لابن حبيب محمد (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق، إيلزة ليختن شتيتر، ط. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٤٢م.

— مروج الذهب: للمسعودي علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، ط. بيروت ١٩٦٥م.

— معجم البلدان: لياقوت شهاب الدين الحموي (ت ٦٢٦هـ)، ط. بيروت ١٩٥٥م.

— معجم الشعراء: للمرزباني محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط. مصر ١٩٦٠م.

— المفضليات: اختيار المفضل الضبي (ت ١٧٨هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط. القاهرة ١٩٦٨م.